الشعر والشاعر

الشاعر :

* الشاعر سعيد بن سالم بن سعيد بن محمد البديد ، من مواليد سنة ١٣٣٤ هـ بمدينة الدوحة القديمة ، في بيت جده الشاعر سعيد بن محمد البديد الذي يضم ثلاثة عشر أُسرة من بينها أُسرة والد الشاعر ، وقد سكن جزء من هذه العائلة الكويت ، الشارقة ، رأس الخيمة ، والمملكة العربية السعودية .

تنتمي عائلة الشاعر إلى قبيلة المنانعة ، وهي قبيلة عربية معروفة في الخليج ، كانت تمتهن صيد السمك والغوص على اللؤلؤ . نشأ الشاعر في (حي السلطة) بمدينة الدوحة يتيماً بعد أن فقد أباه في السنة الثانية من عمر ، وأُمه في السنة الخامسة . وتولى رعايته مع أخٍ له أحد المسنين من أقربائه .

* تلقى شاعرنا مبادىء القراءة الأولى في الكتاب (المطوع) ، لدى الشيخ محمد بن شعلان الذي استقدمه من نجد أحد وجهاء الحي . ولقد شهد للشاعر بين أقرانه بالذكاء والفطنة آنذاك .

* ترك البديد الكتاب وعمره أحد عشر عاماً ليدخل حياة العمل صبياً في رحلات الغوص ليسد أود العائلة التي احتضنته وأخيه بعد أن عجز رب الأسرة الذي رباه عن كسب العيش .

* تمرس الشاعر في ركوب البحر ، وقد بدأ (رضيف) ثم (غيص) متنقلا من مركب إلى آخر حتى كسب خبرة ومهارة غير عادية مما جعله محط أنظار تجار وربابنة الغوص ، حتى حط به الرحال مع النوخـــذة سعد بن حمد النصف الذي عينه ربانا (نوخذا) لأول مرة ، وقد استمر مخلصاً في خدمته لثلاث وعشرين عاماً متوالية . بعدها تيسرت أحوال الشاعر واشترى سفينة خاصة به وعمل لحسابه إلى أن كسدت صناعة اللؤلؤ .

* تزوج البديد إحدى قريباته وهو في الثلاثين ، فأنجبت له صبياً ما لبث أن توفي . وقد توفيت الزوجة بعد أحد عشر عاماً . فتزوج بعدها ثانية من ابنة عمه ، ورزق منها ولدا وبنتين .

* عاش الشاعر في بيت جده سعيد بن محمد البديد الذي لمع كشاعر كبير ، اشتهر بين شعراء جيله بشاعرية فذة أكسبت قصائده ومواويله مكانة فنية وشعبية رفيعة في قطر وسائر أنحاء الخليج ، تلك المواويل التي ساجل بها البديد (الجد) شعراء ذلك الزمان . لذلك نشـــأ الحفيد في وسط يحفظ الشعر ويردده ويرن فيه صدى

أسماء وأقوال الشعراء ، فأولع بالشعر واستعذب سماعه وحفظه وترديده ومن ثم حاول قرضه وهو في الثامنة عشرة . وجالس كبار رواة الشعر من أمثال السيد عبد الرحمن بن بريك أحد المأخوذين بأشعار محمد بن عبد الوهاب الفيحاني وممن يرددون قصائده ملحنة بصوت عذب رخيم ، كما كانت له صداقات وثيقة بشعراء مجيدين من قطر أمثال سبت بو شرود ، مطر بو غدير المناعي ، جاسم جيلاه ومحمد بن حسن المعضادى . ولهذا الجو المفعم بالشعر والتجارب الحياتية الفطرية البسيطة المعبرة بعمق عن معاناة البيئة أثر كبير على نفس ووجدان الشاعر ، ولها دور بارز في تكوين ثقافته ورسم معالم ما كتبه من أشعار .

البديد والشعر :

سعيد بن سالم البديد ، من شعراء قطر المجيدين الذين اشتهروا بلون شعري مميز ، وقد برع في تجويد صوره الشعرية وتلوينها لتعبر عن مضامين قوية نابعة من معاناته الشخصية للحياة ، فجاءت مفردته الشعبية مشحونة . . نابضة ، وذات دفق عذب ومؤثر .

ولأن البديد ذو تجربة حياتية عريضة جمعت خبرة جيلين عند أهم مفترق اجتماعي مرت به منطقة الخليج ، فقد عاش فترة ما قبل النفط ، كابد العيش وتمرس في خبرات متعددة واندمج

في حياة ما بعد النفـــط بتفتح قلما نجد مثيلا له بين أبناء الجيل الماضي ، فأطل على أيامنا هذه بروح الواثق من مواهبه وقدراته المكتسبة وأدى دور المجرب الذي يفتي بثقة العارف في الطب الشعبي والفنون الغنائية الشعبية وفنون الشعر إلى جانب تجارب الغوص والسفر والعيش في أغلب موانئ الخـــليج .

فحبه للغناء الشعبي وولعه به ، هذب عنده المفردة الشعرية فجاءت في أغلب أشعاره رقيقة عذبة في أشطر قصيرة حافلة بالموسيقى ، أقرب إلى أن تنساب في لحن من أن تقرأ وتردد . فكأني بالشاعر قد صاغها وهو في جو الألحان الموسيقية الرائجة في ذلك الوقت ، فأغلب غزلياته على منوال فنون : (اللعبوني) ، (الخماري) و (السامري) وهي أوزان شعرية وفي ذات الوقت ألحـــان غنائية توقع على الطبل والطار ، ولأنه مارس هذه الفنون وأبدع في تأديتها نجده يكثر من أمثال هذه المقطوعات الشعرية ذات الأشطر القصيرة والأوزان الشعرية الخفيفة المقبولة لهذه الفنون الغنائية .

وهذا الحس الموسيقي الفطري للفنـــان الشعبي المرهف الذي يؤدي الأغنية عزفاً وغناءاً عزز دور الموسيقى في أغلب قصائد البـــديد ، فهي قصائد مكثفة المعاني ، مشذبة ، غنية بإيقاع داخلي راقص إلى جانب موسيقاها الخارجية المنغمـــة .

ونتيجة لهـــذا الولع بالتكثيف أعجب البديد بالموال كمقطوعة شعرية محـــدودة الطول ، وأبدع العديد من المواويل الجيدة .

لقـــد فتن البديد بالجمال ، فصورة « الفـــتى المغـــرم » الذي برح به الهوى ، هي الصورة الغالبة على شعره ، وأغلب قصائده غزلي يصور فيه مرار البعد عن الأحبة وعذاب الشوق إليهم مفتوناً خـــانه الصبر والجلد .

حـــرك الأوتـــار واطرب لي وهـــات
غن لي بأبيـــات شـــعر اللي ســـديت
غن لي يـــا مطـــربي ، دام الحيـــاة
مـــا يفيـــد بكاك لي مت وفنيـــت

* * *

ألا يـــا أهـــل المـــودة من يـــداوي
فـــؤاد فيـــه نـــــيران تســـعر
أنـــا مـــــالي بهـــم كـــود المنـــاوي
وظنيـــت الوصـــل منهـــم ولا ســـر
دعـــــوني في بحـــور الحـــب داوى
وسفـني تـــايه في البحـــر الأحمـــر

طــواني من دهــاوي المــوج طــاوي
أخــايل ســفنهم من حــين د بــر

وكم أشــــكي ولا فــاد الشــكاوي
وكم أصــــبر ولا أقــوى اتصــبر

والبديد شاعر شعبي خليجي معتق ، فهو نبطي اللفظ بصفة عامة لكثرة ما قرأ وسمع وعاش الشعر النبطي ، لكنه ليس شاعراً نبطياً ، لا لأنه لم يرد ذلك ، ولكن لأنه لم يستطع ذلك . فهو أولا ، ابن البيئــة البحرية المستقرة في المدن الساحلية ، والتي لهــا لهجتها الطرية المدجنة قياساً بلهجة أهل البادية . وهو ثانياً ، شاعر الأغنية البحرية الذي فطر على التنويع والتلوين واقتناص الصور البيئية والتعبير عن المعــاني في أقل عدد ممكن من الأبيات بعيداً عن رتابة واستطراد القصيدة النبطية التقليدية .

ونتيجة لكثرة تنقل الشاعر بين موانئ الخليج وتمرسه بلغة الشعر الشعبي في كل منطقة ، نجد أن قصائد معينة قالهــا مثلا في دبي أو في عُمان تغلب عليها اللكنة العُمانية في النطق .

(١)

يا ليتــني ما سرت لعُمان ولا تشقيت بهــوى دبــي
ولا نظــرت الخــود لحسان اللي لــووني في الهــوى لي

(٢)

حبيبي شوف دوك الحال ذاوي من الهجران بسي عاد ما أقدر

(٣)

اليوش جابوا له على رأس فنه ومجرى المغيب احذر فلا تخوز منه

وعلى الرغم من أن (الشيلات) هي أحد فنون الشعر النبطي ، مما ينظم ، أو يرتجل ليغنى في رقصة العرضة ، إلا أن البديد وهو شاعر (الشيلات) وضابط إيقاعات العرضة حين يقول (الشيلة) نجده شاعر المدينة وليس شاعر البادية ، فأغلب ألفاظ شيلاته لا يمكن اعتبارها نبطية بقدر ما هي المفردة السائدة والسائرة على ألسنة أهل الحضر في المدينة .

كما سيلاحظ القارىء بأن البديد أدخل إلى قصائده بعضاً من التعابير والاصطلاحات الشعبية الشائعة لدى بحارة السفن ، يستخدمها بعفوية البحار المتعامل بها ، المدرك لأبعاد معانيها ، ومدى قدرتها في مساعدته على التعبير عما يريد :

(١)

قل له تراهم شرقوا بالسفادير

وسنادهم نجمين من عالي التير

(٢)

عــزا لحــالك وانووا لك بخــايور

أيضــاً وجــابوا مقــدم اليوش بوشار

وأخيراً ، فإن أقل موضوعات شعر البديد هو المديح . ذلك لأن البديد لا يريد أن يلقي بالكلام جزافاً ، فهو ممن يقدرون جيداً قيمة الكلمــة :

جيــل على غير الوفــا يرث الهفــا

ومــدح على غير الفعــايل نقيــدها

الديوان :

كبقية الشعراء الشعبيين لم يدون البديد أشعاره في أوراق ، لكن الذاكرة لديه ظلت إلى يومنا هذا يقظة متوقدة متحفزة لأي استثارة وحين جاءت فكرة تجميع أشعاره وإصدارها كمجموعة شعرية باسمه كان هو المصدر الأساسي لنصوصها . وقد اضطلع بهذه المهمة عن جدارة واقتدار السيد / علي شبيب المنــاعي أحد شباب قطر النابهين في مجال جمع وتدوين الشعر الشعبي ، وبحكم رغبة الشاعر في نشر أشعاره ، ونتيجة لقرب السيد / شبيب الشخصي من الشاعر فقد تهيأ له ترتيب جلسات مطولة معه ، استثار فيها ذاكرته

وسجل ما يحفظ إلى أن تكونت لدينا الحصيلة التي نضعها بين يدي القـــارىء مطمئنين إلى أنها كل ما يحفظ الشاعر ، وهي بالتالي أغلب ما قال من شعر .

نأمل أن يجد فيها القـــارىء متعة وفائدة ، وأن يعتمدها الباحث مادة موثقة تضاف إلى تجربة الشعر الشعبي في قطر والخليج العربي .

علي عبدالله خليفة

الدوحة في ٢٧ يوليو ١٩٨٢ م